مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 13 العدد: 05 السنة 2021 ص 411 - 426

تاريخ الإرسال: 2020/10/01 تاريخ القبول: 2021/10/08
تاريخ النشر: 2021/11/04

تداولية الأركان التّواصليّة في رواية تاء الخجل(المخاطِب والمُخَاطَب)

Title in English: The elements of communication in the novel of winters of shame (the sayers and the sayers)

[1] بالخلخ حميد ؛ [2] أ.د تكتك إكرام
جامعة أدرار (الجزائر)، [1] balakhlakh@univ-adrar.edu.dz:
جامعة أدرار (الجزائر)، [2] ikramtaktak@univ-adrar.edu.dz
مخبر الدراسات الإفريقية للعلوم الإنسانية والاجتماعية

الملخص:

الإنسان بطبعه مخلوق اجتماعي، يعيش في وسط مجتمعات أو تجمّعات، فهو إذن بحاجة الى غيره ليتعامل معه من أجل التفاهم ونقل المعلومات، وخدمة لهذه الغاية التواصلية، أوجد لنفسه جملة من الوسائل المتعددة والمتنوعة، وكانت اللغة بمثابة الوسيلة المثلى والأكثر فعاليّة في تحقيق التواصل والإبلاغ؛ فحاجة الإنسان إلى التواصل كما تعارف عليه عُرف القدامى أو الاتصال، كما يعبّر عنه في المصطلح الحديث، هي التي أوجدت اللغة البشرية عملت على تطّويرها إلى أن بلغت المستوى الذي هي عليه اليوم.

الكلمات المفتاحية: اللغة؛ التواصل؛ تداولية؛ أركان التواصل.

Abstract:

Human is a social creatureby nature, who lives within societies or gatherings.So he, therefore, needs to interact and communicate with others of his speciesin the sake ofdeveloping understanding and harmonyas well astransferring or exchanging

information.To serve this communicative aim, human has created for himself a set of multiple and varied means, among which language was the best and most effective means in achieving that aim, that is, communication and conveyance.

Thereby, the human'sinevitable need for communication, as it was known in the oldenusage, or for connection as it isdescribed in the modern usage, is what devised the human language and contributed inits developmentall the way into how it is in the modern day.

Keywords: language; communication; deliberative; foundations of communication.

المؤلف المرسل: بالخلخ حميد، الإيميل: balakhlakh@univ-adrar.edu.dz

مقدمة:

تعتبر اللغة وسيلة اتصال وتفاهم لما يخدم العملية الاتصالية، ينفرد بها الإنسان دون غيره من سائر المخلوقات، لكونها من أبرز الوسائل التي يستعملها للتعبير عن مشاعره وآرائه وأفكاره، محقّقاً بذلك الوظيفة الأساسية للغة والمتمثلة في الاتصال.

ومن هنا كان التواصل عنصراً بالغ الأهمية في الحياة الإنسانية فالحياة ذاتها تواصل مستمر دائم والتواصل هو " فعل حضاري ضروري لدى الشعوب والمجتمعات " [1]؛ وعلى حدّ تعريف ابن جني للغة في قوله: " هي أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم "[2]. فإن هذا التعريف يتضمن أركان العملية التواصلية من متحدّث أو مرسل ، ورسالة، وسامع أو متلق أو مرسل إليه، وهي عناصر أساسية في حدوث ذات العملية؛ وكتطبيق عملي لمُخرجات هذا البحث تم أختيار رواية

جزائرية بعنوان (تاء الخجل) للروائية فضيلة فاروق، فمن خلال هذا العمل الفني قمنا باستخراج والوقوف عند أهم الأركان التواصلية الواردة في الرواية .

أولا: التواصل مفهومه وماهيته وعناصره

1 – مفهوم التواصل في السياقين العربي والغربي:

قبل إيراد التعريفات المتعلقة بمصطلح التواصل يجدر بنا تبيان الفرق بين مصطلحي communicatiom و communicate ، فالمصطلح الأول التواصل [بكل ما فيها من فعل التواصل] وأركان التواصل وعناصره، أمّا المصطلح الثاني الذي ورد بصيغة الفعل فيستخدم ليدلّ على فعل التواصل، وهو أحد أجزاء العملية التواصلية.

يرجع الأصل اللغوي للفظ التواصل عند العرب إلى (الوصل) فابن منظور يرجع أصل اللفظ إلى وصل، ووصلتُ الشيءَ وصلاً وصلةً والوصْلُ ضدّ الهجران... ووصَلَه إليه وأوصَلَه: أنهاهُ إليه وأبلغه إياه ... والتواصل ضد التّصرام[3]الذي ينفّر عن استمرار العلاقات فيما بينها، و إذا دقّقنا في المفهومين الواردين يتبيّن وجود علاقة ضمنية مشتركة بينهما، يقّر ابن منظور في إيراد لمفهوم التواصل أنه مفهوم متضاد مع القطيعة، وإذا أسقطنا الأمر على العملية التواصلية فإنها تستند إلى علاقة قائمة بين فردين أوبين عدة أفراد، لا تُرسم هذه العلاقة حدودها في إطار نقل معلومة أو إبلاغ عن خبر؛ حيث ترنو طبيعة هذه العلاقة إلى الصورة الرسمية، بل تتعدى إلى أكثر من ذلك لتكون علاقة متماسكة.

فالتصارم لا يحدث إلاّ بعد توطيد العلاقات الإنسانية، إذ يذكر منير بعلبكي في معجم المصطلحات اللغوية، مجموعة من المرادفات اللغوية لمصطلح التواصل، وهي "إبلاغ، اتصال، تخاطب، توصيل" ثم يردف ذلك بمفهوم هذا المصطلح موضحاً معناه فيقول هو: "نقل الرسالة من المرسِل (المتكلم أو الكاتب)

إلى المرسَل إليه أو المتلقي (السامع أو القارئ) بواسطة نظام من الرموز، سواءً اكانت رموزاً صوتية في اللغة أم كتابية في الكتابة أم إيمائية في التواصل الإيمائي"[4]؛ أما عن الأصل اللغوي للفظ التواصلcommunitiom، التي تدل عند الغرب فيرجع إلى الكلمة اللاتينية communicare، التي تدل على جعل شيء ما (معرفة/معلومات/ أفكار) مشتركا مع شخص أو عدة أشخاص آخرين.

وهو تعريف لغوي يحمل دلالة على تبادل الكلام بين متكلم ينتج ألفاظاً موجهة لمتكلّم آخر يقوم بدور المخاطب – المستمع– والإتصال بحسب المنظرين واللسانيين هو نقل معلومة من نقطة إلى أخرى؛ يُظهر هذا المفهوم أنّ التواصل هو عملية لابدّ أن تتم بين جهتين متكلّمتين: تأخذ إحداهما دور المنتج للألفاظ، في حين يأخذ الآخر دور المستمع أو المتلقي لهذه الألفاظ، والهدف الأساسي من هذه العملية هو نقل المعلومات بين هذين الطرفين ولتتم عملية التواصل لابدّ أن ينتقل الكلام من منتجه إلى متلقّيه عبر وسيلة محددة فقد يكون التواصل من خلال الالتقاء المباشر بين الأفراد، وقد يكون غير مباشر، فيتم باستخدام وسيلة مساعدة على ذلك .

ولتتم عملية التواصل لابدّ من انتقال الكلام من منتجه إلى متلّقيه عبر وسيلة محددة، والمعروف أنّ وسائل التواصل أصبحت غير محدودة في هذا العصر. ولعلّ ذلك يكون من أسباب عدم تحديد الوسيلة المستخدمة في التواصل، كما أنّ استحضار هذا التعريف طبيعة العصر المتحدّث عنه وجعل وسائل التواصل المختلفة في عين الإعتبار، يُنبئ عن عمق الرؤية حول العملية التواصلية وأشكالها التي تتم فيها، فلم يتم حصرها في اللقاء المباشر بين الأفراد بل تعدّت إلى اللقاء غير المباشر بواسطة إرساليات لها شكل معيّن.

2 – عناصر العملية التواصلّية:

عند سماع لفظ التواصل فإنّ الأمر ينصبُّ غالباً على التواصل اللفظي، ويعني ذلك وجود أفراد تدور بينهم الأحاديث لأهداف مختلفة، ويُستدلُّ في السياقات العلمية على عناصر عملية التواصل بنموذج "رومان جاكبسون"، فقد سطَّر عناصر التواصل وحدها في ستة عناصر مختلفة وهي على النحو الآتي:

1.المرسل: الطّرف الأول الذي يبدأ عملية التواصل، ويختار المرسل الرسالة ومضمونها كما يختار المرسل إليه.

2.المرسل إليه: الطرف الثاني الذي يمثل المستقبل لمضمون الرسالة، ويعدّ نجاح التواصل بين المرسل والمرسل إليه معتمداً على الطرف الثاني" هل يتمكّن من استقبال الرسالة على الوجه الأمثل أم لا؟

3.الرسالة: هي المضمون القولي الذي يرغب المرسل في إيصاله إلى المرسل إليه.

4.المرجع: يمثّل المرجع الأساس الثقافي أو الاجتماعي المشترك بين المرسل والمرسل إليه، ومن خلاله تنقل الرسالة وتُفهم في إطار المرجعيّة التي تضمَّنتها الرسالة.

5.قناة الاتصال: هي الوسيط الحامل للرسالة، وقناة الاتصال هي عنصر فيزيائي، إذ أنّ الصوت ينتقل عبر ذبذبات الهواء الحاملة له.

6.الشّفرة: هي ما تؤدّيه مضمون الرسالة .

وقد مُثّلت العناصر بالمخطط الآتي[5]:

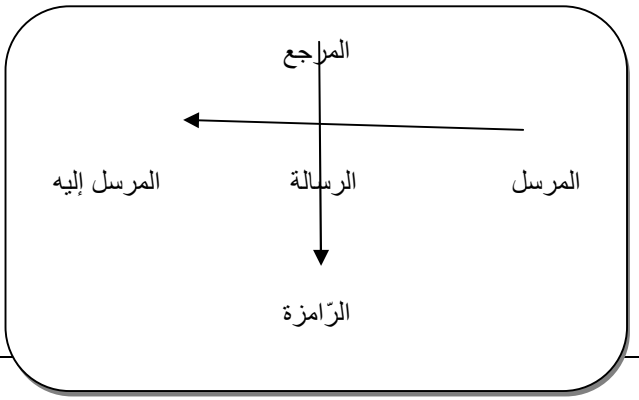

- **عناصر التواصل في نموذج جاكبسون.**

تمثّل العناصر السابقة عناصر العملية التواصلية، فباكتمالها ينجح التواصل بين البشر، في حين أنّ هناك أسباب قد تعيق عملية التواصل، كوجود بعض الأسباب النفيسة التي تمنع المتكلم عن الحديث أو عدم ملاءمة المقام للتواصل كحدوث مقاطعة ما تؤثر في اكتمال التواصل، وغيرها من العوامل التي لا حصر لها.

ثانياً: أنواع التواصل.

يمكن الحديث عن أنواع عدة من التواصل الإنساني، فهناك أنواع عديدة ومتعددة كالتواصل البيولوجي والتواصل الإعلامي، والتواصل الاجتماعي والتواصل البيداغوجي...وفي هذا الصدد يقول "طلعت منصور": " إنّ وظيفة الاتصال تتسّع لتشمل آفاقاً أبعد، فكثيراً من الباحثين يتناولون الاتصال، كوظيفة للثقافة، وكوظيفة للتعليم والتعلّم، وكوظيفة للجماعات الاجتماعية وكوظيفة للعلاقات بين المجتمعات، بل ويعتبرون الاتصال كوظيفة لنضج شخصية الفرد، وغير ذلك من جوانب توظيف الاتصال " [6]

ومن جملة أنواع التواصل نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر:

1. التواصل من المنظور اللساني:

" يذهب مجموعة من اللسانيين إلى أنّ اللغة وظيفتها التواصل "كفرديناند دو سويسر"(F. de saussura) الذي يرى في كتابه محاضرات في اللسانيات العامة، أنّ اللغة نسق من العلامات والإشارات والدوال، هدفها التواصل والتبليغ وخاصة أثناء اتحاد الدال مع المدلول بنيوياً، أو أثناء تقاطع الصورة السمعية مع المفهوم الذهني، وهو المفهوم نفسه الذي كان يرمي إليه تقريباً "ابن جني" في كتابه الخصائص، عندما عرّف اللغة بأنها" أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم"

وعليه نرى أن التواصل من المنظور اللساني يقوم على اللغة بوصفها أداة للاتصال والتواصل بين الأفراد والجماعات.

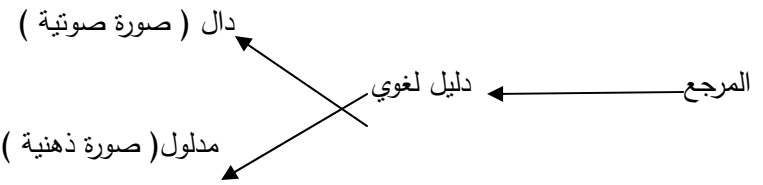

ويعرّف "اندري مارتيني" (André Martine) اللغة على أساس أنها تلفُّظ مزدوج وظيفتها التواصل، ويعني هذا أنَّ اللغة يمكن تقسيمها إلى تمفصُل أوّل هو المونيمات (الكلمات)، أمّا المتفصُل الثاني فهو الفونيمات والمورفيمات، فإذا أخذنا كلمة (يلعبون)، فهي تتكون من مونيم (لعب)، وفونيمات صوتية (اللام والعين والباء)، ومورفيمات نحوية وصرفية مثل: ياء المضارعة، واو الجماعة والفاعل، لكن الفونيمات لا يمكن تقسيمها أكثر، فهي لا تتجزأ إلى وحدات أصغر منها؛ لأن الصوت مقطع لا يتجزأ، وإذا جمعنا الفونيمات والمورفيمات مع بعضها البعض فإننا نكوّن – في هذا الصدد– مونيمات، وإذا جمعنا الكلمات مع بعضها البعض، فإننا نكوّن جملاً، وبالجمل نكوّن الفقرات والمتواليات، وتكوّن الفقرات ما يسمى بالنص، ومن ثمّ يكوّن النص – تأليفاً و استبدالاً – ما يسمى باللغة التي من أهدافها الأساسية التواصل.

ويذهب "رومان جاكبسون"Roman Jakobsonإلى أنّ اللغة ذات بُعد وظيفي، وأنّ لها ستة عناصر، وستّ وظائف: المرسل ووظيفته انفعالية، والمرسل إليه ووظيفته تأثيرية والرسالة ووظيفتها جمالية، والمرجع ووظيفته مرجعية، والقناة ووظيفتها حفاظية، واللغة ووظيفتـها وصفية. [7]

2. التواصل من المنظور السيميائي:

يمثل هذا الاتجاه كل من "بريبطو" Prieto، و"مونان" Mounin و"أوسين"Austin، و"أندري مارتينيه" Martinet، إذ يرى هذا الاتجاه في الدليل على أنه أداة تواصليّة؛ أي مقصدية إبلاغية، ويعني هذا أن العلامة تتكون ثلاثة عناصر: الدال والمدلول، والوظيفة أو القصد... وهؤلاء اللسانيون والمناطقة لا يهمّهم من الدوال والعلامات السيميائية غير الإبلاغ والوظيفة الاتصالية أو التواصليّة.

وهذه الوظيفة لا تؤدّيها الأنساق اللسانية فحسب، بل هناك أنظمة سُننيّة غير لغوية ذات وظيفة سيميوطيقية تواصلية، كما أن السيميولوجيا –حسب "بويسنس" Buyssens – هي دراسة لطرائق التواصل والوسائل المستعملة للتأثير على الغير قصد إقناعه أو حثّه أو إبعاده؛ أي أنّ موضوع السيميولوجيا هو التواصل المقصود.

ثالثاً: رهانات ومفارقات التواصل:

رغم أن القاعدة التواصلية تبدو بسيطة وشفّافة؛ حيث يحدّد العملية التواصلية كتبليغ لمعلومـة (أ) إلى متلقّ (ب) بواسطة قناة اتصّال (ج)، فإن هذه العملية تتضمن رهانات ومفارقات تسمح بإعادة النظر في الشفافية والبساطة المزعومتين.

فالرسائل المبثوثة نادراً ما تكون واضحة وأُحادية المعنى، بل إنها على العكس من ذلك تتضمّن تعدّداً دلالياً، كما أن المتلقي لا يكون مجّرد مسجّل سلبي للمعطيات المرسلة؛ بل إنه يعمل على انتقاء هذه الأخيرة وغربلتها وتحويلها، وبخصوص قناة الاتصال فهي بدورها تؤثّر في مضمون الرسالة بحسب طبيعة الوسائل المستخدمة (وسائل سمعية، بصرية، أسلوب التخاطب المباشر...).

حيث أثبتت الدراسات في مجال علوم الإعلام أن التواصل لا يتضمّن فقط فعل الإخبار، بل يبحث أيضاً عن طرق التأثير في الآخر وإلهامه وإغرائه، ومن هنا

يتضّح لنا بأن التواصل عملية معقّدة وجب الكشف عن طبيعة هذا التعقيد من خلال إبراز أهم المفارقات المحدّدة للمعنى.

وقبل ذلك نشير إلى أن مفهوم المفارقة يؤخذ منها بمعنى التناقض الناتج عن عمليات استنباطية صحيحة، وذلك انطلاقاً من مقدّمات وأوليات متماسكة .

ويسمح هذا التحديد بإقصاء كل أشكال المفارقات الزائفة القائمة على خطأ برهاني مُضمر، أو على قول سفطائي لا يستند إلى مقدمات متينة [98]، وعادة ما تستعمل لفظة متناقضات كمرادف للفظة مفارقات، خصوصاً ضمن الأبحاث ذات الصبغة الصورية كما هو الأمر في مجال المنطق والرياضيات (نستحضر هنا متناقضات العقل لدى كانط والمتعلقة بالقضايا الميتافيزيقية الكبرى، مثل: الوجود الإلهي، ولا نهائية العالم، ومسألة الروح ...) وقد مكّنت الأبحاث في هذا المجال من تحديد أشكال للمقارنات وهي:

أ- **التعريفات المفارقة أو المتناقضات السيمانطيقية:** حيث يتخّذ الملفوظ دلالة متناقضة مثل قولي: أنا كذّاب؛ فدلالة الملفوظ لا يمكن أن تكون حقيقية إلاّ إذا كانت كاذبة، والعكس أيضاً، فأنا أقول الحق عندما أكذب ؟

ب – المفارقات التداولية: التي تتحدّد عبرها التبادلات الإنسانية والسلوكات الواجب اتباعها ضمن هذه التبادلات، وترتبط عادة بما يسمى بالإلزامات المُفارقة كما هو الحال في العبارة التالية: { كن تلقائيا }، فمعلوم أن التلقائية مرتبطة بحريّة الفعل وليس بالإلزام .

يتضّح إذاً أن المفارقات حاضرة على مختلف المستويات: فكرية ولسانية وسلوكية، ولأن الأمر يتعّلق بفعالية الإنسان وبتفاعلاته؛ فإن فعله التواصلي يظلّ رهين المفارقات، كما أنّ رهانه يتمثّل في الحفاظ على تقاليد الحوار والتحاور وقَبول الآخر المختلف.

فإذا ما حاولنا تشخيص الوضع التواصلي، فإننا سنتوصّل إلى مجموعة من الحقائق نذكر منها:

-تعدّد المعاني التي يحتويها مضمون رسالة ما: إذ إنّ كل معلومة تشتمل على مضمون ظاهر وآخر خفيّ، وقد أكدت الأبحاث السيميائية[بيرس، بارث، إيكو ...] أنّ غموض المعنى يرجع إلى تعدّد دلالات العلامات المستخدمة في عملية التواصل.

-بخصوص قناة الاتصال: هناك تساؤلات تطرحها الأبحاث في مجال التواصل مثل: هل للصورة تأثير أكبر في المتلقي من تأثير المكتوب؟ وهل هذا الأخير أكثر فعالية من الشفوي؟ وهل يساهم التقارب بين المتخاطبين ولقاؤهم المباشر في جعل الرسالة المبثوثة أوضح وأكثر فائدة مما هو عليه الحال بالنسبة إلى الرسائل المبثوثة في وسائط إعلامية أو مؤسساتية؟

وفي ذات السياق تُطرح مسألة استقبال المعلومة من طرف المتلقي الذي لا يمكن اعتباره سلبياً بأية حال من الأحوال؛ فهو يقوم بفكّ رموز الرسالة وتحليلها وتأويلها، بحيث تتحكّم في ممارسته هاته مجموعة عوامل منها: مرجعيته الثقافية وحمولته المعرفية، والمسافة القائمة بين مستواه الثقافي والمستوى المطلوب لفهم المعلومة.

وبناء على ما سبق ذكرهُ فقد دفع بالباحث "أليسكس مكيلي" (A. Mucchielli) إلى تحديد مجموعة من الرّهانات المطروحة على العملية التواصلية وهي:

الرهان الإعلامي، رهان التموقع، رهان التأثير، الرهان العلائقي، الرهان المعياري.

- فالرهان الأول للتواصل هو نقل المعلومات، ويدعوه جاكوبسن بالوظيفة المرجعية، غير أنَّ التواصل والإخبار قد لا يتلازمان، وعلى سبيل المثال، فإن مهمة التعليم والعمل الصحافي وإن كان هدفهما هو الإخبار والإعلام فإنّ بإمكانهما الانسياق وراء رغبة التّلاعب بأفكار المتلقي وإغرائه.

- ويتمثل الرهان الثاني في لعبة التموقعات التي يقوم بها أطراف العملية التواصلية، وهنا سيكون التواصل في الأساس ينبني على الظُّهور أمام الآخر بمظهر خاص بهدف تقديم صورة متمّيزة عن الذات ومحاولة تبرير مواقفها والدفاع عمّا يمّيزها كهوية .

ومن هنا يتجلى تأثير الوظائف الاجتماعية والأدوار على عملية التواصل إذْ أنّ الوضع المهني مثلاً يختلف عن الوضع داخل الأسرة، أو في المقهى أو أمام الكاميرا...ضمن ما يمكن تسميته بلعبة التَّموقع.

- أما الرهان الثالث، فيتعلّق بالتأثير في الآخر وإقناعه؛ بل إغرائه وتمويه الحقيقة عليه بهدف جعله مشاركاً لنا في الرأي، وتبرز هنا أهمية الحجاج كأداة ضرورية في العملية التواصلية.
- بخصوص الرهان الرابع، فهو يهدف إلى تنظيم العملية التواصلية، ذلك أن العلاقة بين شخصين نادراً ما تكون تلقائية وبسيطة وهادئة.

رابعـاً: الجانب التطبيقي: دراسة الأركان التواصلية (المخاطَب/المخاطِب)من خلال رواية تاء الخجل للروائية فضيلة فاروق.

1- بطاقة فنية عن الروائية والعمل الروائي:

فضيلة فاروق ولدت في 20 نوفمبر 1967 عاصمة الأوراس (آريس) بالشرق الجزائري، درست الثانوية بثانوية مالك حداد بقسنطينة وحازت على شهادة الباكلوريا شعبة الرياضيات 1987، لها إسهامات في الصحافة اللبنانية (الكفاح العربي – الحياة – السفير ...) كما صدر لها عدة أعمال فنية أهمها: لحظة لاختلاس الحب (قصص)، مزاج مراهقة (رواية)، اكتشاف الشهوة (رواية)، أقاليم الخوف (رواية) ...

تعد تاء الخجل بمثابة عمل روائي أدبي للكاتبة الجزائرية فضيلة فاروق، تناولت فيه ظاهرة اغتصاب المرأة وبشاعتها في مرحلة جدّ حساسة من تاريخ الجزائر ألا

وهي العشرية السوداء، ففضحت فظائع التطرّف الديني المتشدّد، إنها رواية مخالفة لما كُتب قبلها بحيث تتميّز بجرأة لم تعتدها الكتابة الجزائرية؛ إذ كسرت كل الطابوهات فدقّت على الوتر الحسّاس المسكوت عنه في العالم العربي بصفة عامة، وفي الجزائر بصفة خاصة بسبب الخجل الذي يلازم المرأة في كل مكان وزمان لا لشيء سوى أنها امرأة .

فتاء الخجل كعمل فنّي روائي عالج قضية أكبر بكثير من حصرها في بحث، إنها تستعصي على الوصف، فكلُّ ما يمكن قوله عنها أنها صرخة أنوثة استلمت على ثمانية فصول متعددة المواضيع نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر، الشيطان وأنا ، أنا ورجال العائلة، يمينة ...

حيث استهلّت الروائية عملها الفني بفصل أسمته (بالشيطان وأنا) فيه إشارة تدلّ على أنّ الشيطان هو عبارة عن كائن خارق للعادة يرمز إلى كل ماله علاقة بالوسوسة وفعل الشرّ، وفي المقابل الأنا كمصطلح ورد في علم النفس وغالباً ما يقدّم وصفاً للعلاقات الديناميكية الموجودة في حالة الوعي لتعاملها مع الواقع الخارجي ... وخير دليل على أن الرواية حملت وصفاً عن واقع إرهابي مُظلم تعرّضت من خلاله الفتيات إلى الاعتداء والمضايقات من قبل الجماعات الإرهابية المسلحة نذكر:

منذ العائلة ... منذ المدرسة ... منذ التقاليد ... منذ الإرهاب كل شيء عنِي كان تاءً للخجل، كل شيء عنهنّ تاءً للخجل ... ص9.

كما احتوت الرواية على ضمير المخاطِب أو المتكلم باعتباره طرف في العملية التواصلية حيث قالت: منهنّ ... إلى أنا، لا شيء تغيّر سوى تنوُّع في وسائل القمع وانتهاك كرامة النساء ... ص10.

وتعني بذلك أنّ العنف والاعتداء قد طال النساء دون استثناء بما فيهنّ الراوية، تضيف قائلة عن ضمير المتكلم المخاطِب في قولها: وأنا على شرفة الرابعة

عشر حين دَغدغتَ مشاعري بنقائك عِشتُ الحيرة لأول مّرة أبصفَّ النساء أنا أم بصفّ الرجال؟ ص10، مما أوقعها في حيرة وهي في عزّ شبابها أهي من صنف الرجال أم النساء ص 10.

وبالحديث عن ضمير المتكلّم تضيف الروائية قائلة: ... كنت مشروع أنثى، ولم أصبح أنثى تماماً بسبب الظروف، كنت مشروع كاتبة، ولم أصبح كذلك إلاّ حين خسِرت الإنسانة إلى الأبد ... ص13، إذْ تعبِّر من خلال هذه الكلمات على مدى قساوة الحياة من حولها والتي وقفت حجر عثر أمام تحقيق أحلامها وأمنياتها التي اقتطفت في عصر الزهور.

وفي حديثها دوماً عن ضمير المخاطِب أو المتكلم بصيغة المفرد تتحدّث قائلةً: كنتُ في الغالب أحبّ أن ألعب مع خليل ويونس، كانا من سنّي تقريباً، لكنّهما صارا يتهرّبان منّي عندما كبُرا قليلاً ... ص21، وفي سياق الحديث عن ضمير المخاطَب أو المتلقي تقول الروائية:... أنتِلا تُشبهين النساء، ليعرف الناس إن كنت جميلة أولا حقاً؟ ص23؛ كما تضيف قائلة: أنتِ كائن أعجز عن وصفه، إنك تسكنين كل الأغنيات التي أحبّ، تتلوّنين بألوان الطبيعة ... ص23، فيه دلالة على تنّوع وتعدّد مواضع أماكن تواجد بلاّرج.

فصل أنا ورجال العائلة:

في ثنايا هذا الفصل نجد الروائية تتحدّث عن ضمير المخاطَب أو المتلقي في قولها ... أمسكني من الخلف، دفعتُه عني، وصرختُ في وجهه – إياك أن تلمسني ثانية ... ص27، متوعدة إياه بعدم لمسها.

وفي سياق حديثها عن ضمير المتكلم أو المخاطِب تقول الروائية: فهمتُه، كان يقصد موضوع الزواج – أنا رفضت ... – أنتِ هربت ... ص30.

فصل تاء مربوطة لا غير:

اشتمل هذا الفصل على عناصر العمليّة التواصليّة المتمثّلة في المخاطِب والمخاطَب، ومن جملة الشواهد التي اشتملت على ضمير المخاطِب المتكلم المفرد ما ورد في قول الروائية: ... لم تكن تفهم كيف أتعايش مع تناقضاتي تلك، أنا البارعة في التصنُّت ... ص 36، وتضيف قائلة عن ضمير المخاطِب بصيغة الجمع: ... وها نحنُ اليوم لا يجمعنا سوى ذلك الصمت الذي أحببت ... ص 36. لتتوالى الشواهد ضمن تقاطع الرواية بالحديث عن ضمير المتكلّم المخاطِب أحياناً بصيغة الجمع وأحياناً أخرى بصيغة المفرد في قول الراوية: ... إنّها أحسن حالاً منا، يكفيها أن ترشّ عطرها على أطلال المزار، لتشعر بالراحة ... من يبعث الراحة في نفوسنا نحن؟ – أنا عن نفسي وجدتُ الحل ...ص 41.

- خمس سنوات وأنا أعطي وقتي وتفكيري وجهدي للمسرح ... ص 41.
- في المساء بكيت كثيراً وأنا أكتب قصة قصيرة عن بنت تشبه ريمة ... ص41.

- **فصل الطيور تختبئي لتموت :**

استهلت صاحبة العمل الروائي بالحديث عن ضمير المخاطَب في قولها: وأنت هل أعطيتِ أهميّةً للحشوة في كتابك؟ ص84، تضيف متحدّثةً عن ضمير المخاطِب المتكلم في قولها: ... خرجتُ وأنا احتفظ بابتسامتها وبريق عينيها، وقُبلتها الدافئة على خدّي، كانت تشبه قُبل الأطفال ... ص89؛ وأثناء حديثها عن ضمير المخاطِب المتكلم تقول: اعتذر صوت أنثوي في مكبّر الصوت عن تأخّر الطائرة، إنّها العادة أيضاً، نحن دائماً في تأخّـر ... ص 99. إذ ورد ضمير المخاطِـب (نحن) بصيغة الجمع.

خاتمة:

وفي ختام البحث نتوصل إلى جملة من النتائج نجملها فيما يلي:

– اللغة وسيلة اتصال وتواصل بين الأفراد.

– التواصل هو عبارة عن تبادل الكلام بين متكلّم ومستمع.

–يمثّل الاتصال بحسب المنظّرين اللسانيين نقل معلومة من نقطة إلى أخرى؛ أي أن التواصل لا بد أن يتمّ بين طرفي العملية التواصلية.

– يحقّق التواصل بفضل تداولية الكلام غايات تواصلية مختلفة تبعاً لتغيّر مواقف المتكلم واستعمالاته.

– للتواصل عند جاكبسون وظائف متعددة منها الإخبارية والانفعالية والتواصلية والتأثيرية والجمالية.

– تتضمن الرسائل التواصلية تعدّداً دلالياً لأن التواصل لا يتضمن فقط فعل الإخبار وإنما يبحث عن طرق التأثير في الآخر.

– تقوم العملية التواصلية على أركان أساسية هي: المرسل والرسالة والمرسل إليه.

– للعملية التواصلية مجموعة من الرهانات منها: الرهان الإعلامي ورهان التموقع ورهان التأثير والرهان العلائقي والرهان المعياري.

– اشتملت رواية تاء الخجل على أركان تواصلية عديدة ومتعددة نذكر منها ما يعود على ضمير المتكلّم وما يعود على ضمير المخاطِب.

– جسّدت الروائية في روايتها قضية اجتماعية معقّدة تتعلق بمعاناة الأنثى أيام العشرية السوداء في الجزائر.

– كسرت الروائية في روايتها حاجز الصمت والخوف الذي خيّم على المرأة في مجتمعها الذي كان ينظر إليها دائماً نظرة احتقار وتخلّف...

المراجع:

([1]) أحمد عزوز ، التبليغ المعرفي والبيداغوجيا ، مجلة اللغة والاتصال ، وهران ، ع1 ، 2005 ، ص 40 .

(2) ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، عالم الكتب، ط2، 2006، بيروت. لبنان ، ص 32.

([3])ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د. ط، ج11، ص726 .

([4]) منير بلعلبكي ، معجم المصطلحات اللغوية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1990 ، ص 101 .

([5])رومان جاكبسون ، قضايا الشعرية ، ترجمة محمّد الولي ومازن جنون ، دار توبقال ، المغرب ، ط1 ، 1988 ، ص 27.

([6])طلعت منصور ، سيكولوجية الاتصال ، ص 08 .

([7]) جميل حمداوي ، التواصل اللساني والسيميائي والتربوي ، ط1 ، 2015 ، ص 8 – 9 – 10 .

([8]) محمد عابد الجابري ، التواصل نظريات وتطبيقات ، سلسلة فكر ونقد ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، د ت .

(9)فضيلة فاروق، تاء الخجل، منشورات ضفاف– منشورات الاختلاف، طبعة لبنان، 2015.